

بعد ، وكنا نطيل التردد متلهسين في الحيرة لئلا
جديدة ونحن مكبان على الرسوم يصدم جنبي جنبها
ويطوق ذراعي خصرها ، فتسألني وأسألها عن مكان
عزلتنا ، وعما سنفعل في حياتنا الجديدة

بأى بيان أوضح ما كان يخالجنى من ندم على
ما فات عند ما كنت أرفع رأسي متأملاً في هذا
الوجه الشاحب الحامل آثار الآلام الماضية ، وقد
أنارته ابتسامة الأمل . وكنت أنصت إلى كلماتها العذبة
تصور ماسنكون عليه فأتمنى أن أريق دمي فداء لها
أى أحلام النسي ! لعلك أصدق سعادة تتمتع بها
في هذه الحياة

ومضت سبعة أيام ونحن نفتش عن مأوى لنا
وتتجول في المدينة لا بتياع ما نحتاجه لثربينه ؛ وفي
اليوم الثامن طرق بابنا شاب لا أعرفه يحمل رسائل
لبريجيت ، وبعد أن قابلها وانصرف رأيتها حزينة
واهية القوى ، وما عرفت عن هذه المقابلة سوى أن
الرسائل واردة من المدينة التي كنت تبعت بريجيت
إليها لأمل لها غرامى حيث يقطن أقرباؤها

وأعدنا في زمن وجيز كل ما احتجنا إليه ،
فأصبحت مأخوذاً بفكرة الرحيل ، وقد تولاني منها
تمثل منع كل راحة عني ، فكنت أنهض من فراشي
مبكراً وأدخل إلى غرفة بريجيت ماشياً على رؤوس
أصابعي متحاشياً إيقاظها لأجثو أمام سريرها ، حتى
إذا أفاقت رأيتني شاخصاً إليها ، وقد بدلت أجفاني
الدموع ؛ وما كنت أدري أية وسيلة أتخذ لأثبت
لها إخلاصي في ندامتي ؛ فتجاوزت حدود الأعمال
الجنونية التي لامستها في غرامى الأول ، وأصبحت
أستوحى غرامى الجامح كل عمل يتجه إلى الشطط
والإفراط ؛ فتحول عشق إلى نوع من العبادة ،
(٧)



استغفارنا في العصر

لأفريدى سوسيه
بقلم الأستاذ فليكس فارس

الجزء الخامس

الفصل الأول

قدمنا إلى باريس مصممين على الرحيل منها إلى
سفر بعيد . فأقمنا في منزل خاص لنعد ما نحتاج
إليه ، وكان تصميمنا على مغادرة فرنسا بدّل كل
شيء في نظرنا فعاد إلينا الفرح والأمل والثقة مرة
واحدة ، وتبدد الحزن من حولنا ، وقضت فكرة
الانتقال القريب على كل مشاكسة وجدال

واستغرقنا في أحلام سعادتنا وأصبحت لا أنقطع
عن زريد أغلظ الأقسام بأننى لن أتحول عن حبي
ما عشت موجهاً كل عناقبي إلى إنساء خليلتي كل
ما حملتها من شفاء وأوصاب . وما اكتفت بريجيت
بأنى عفوها ، بل أظهرت أنها لا تتردد في تضحية
كل ما عزّز للحاق بي ؛ وهكذا رأيتني مدفوعاً
بدافع الإنصاف إلى مبادلها إخلاصها بمنتهى ، فتغلب
حبي لبريجيت وإعجابي بها على ما بقلبي من جامع
الزعات

وانحنت يوماً على (الخريطة) مفتشة عن مكان
نتواري فيه ، وما كان وقع اختيارنا على مكان موافق

إخلاصى ، وأن صفاء نيتى قد نشأ من مجالستها وصبرها
فما وسمها إنكار المعلول والعلة لا ريب فيها
وكانت الحوائج ومجموعات الصور والأقلام
والكتب والرزم تملأ الغرفة وقد نشرت عليها
الخريطة التى استوت على كل جوارحنا . وكنت
أذهب وأجىء فى هذه الغرفة لأقف أمام بريجت
وأنظر على أقدامها فتصفى بالكسل وتقول إنها
لا تجد بداً من القيام لوحدها بالأعمال جميعها ما دمت
أنا لا أفعل شيئاً .

وبينما كانت ترتب الحقائق وتقفلهما كان الحديث
لا ينقطع بيننا عما ننويه لسفرنا ، فكنا نقول إن
سيليسيا على بعدها معتدلة الجو فى فصل الشتاء .
إن جنوا جد رائعة بما وراءها من جبال وما فيها
من حدائق أنبسط الاخضرار على أعراشها ولكنها
مكتظة بالناس ، يملأها الصخب ، ويقلقها الضجيج ؛
وإذا مررت فى أسواقها ثلاثة رجال فلا بد أن يكون
فيهم راهب وجندى . إن فلورنسا حزينه ولا تزال
معرضاً لحياة القرون الوسطى فكيف نحتمل مشاهدة
نوافذها المحترقة وجدرانها القذرة ؟

أما روما فما شأننا بها وما نحن من السائحين
الذين يتوقون إلى الغرائب أو يطلبون العلم ؟
أما يجدر بنا أن نذهب إلى ضفاف الين ؟
ولكننا لن نصل إليها إلا بعد انقضاء الموسم ،
ويصعب على الانسان أن يقيم فى الأماكن المهجورة
أما أسبانيا فحركاتها مستمرة وعلى مراتبها أن
يعيش فيها كما يكون فى ساحة حرب فيتوقع مصادفة
كل شئ ، ما عدا الراحة

لنذهب إذن إلى سويسرا مقصد العدد الفقير
وإن لم ترق لبعض الناس ، فهناك يتجلى أروع

فكنت كلما دنوت منها أنبى أنبى ما لكها منذ ستة
أشهر ، ويخيل إلى أننى أراها لأول مرة فأكاد لا
أجسر على لمس أدرانها وهى من حملتها من فظاظتى
مالا يحتمل . فإذا تكلمت ارتعشت كأننى أسمع
دوتها لأول مرة ، ويدفعنى الهوس إلى الارتقاء على
أقدامها منتصباً ، أو إلى الاستغراق فى الضحك دون
ما سبب . وكنت إذا ما تذكرت معاملتى الماضية
أشعر بأشمزاز وأود لو أن على وجه الأرض هيكلاً
للحب أذهب إليه فأعتمد فى مأنه المقدس ، وأرتدى
مسوحه فلا أخلعها إلى الأبد

ومثلت لخيالى اللوحة التى رسم فيها تيتان مشهد
الحوارى توما يمس بأصبعه جرح المسيح فرايتنى
أشبه هذا الحوارى إذا صبح وجه الشبه بين حب
الانسان وإيمانه بربه : إن فى ملامح توما وهو يسهر
الجرح ما يصعب تحديده من عاطفة تتراوح بين
الشك والايمان فتلوح لك كلمة التجديف الحائرة
كأنها تذوب على شففى الحوارى ، وقد ارتفعت
منهما كلمة الصلاة ، فلا تعلم أحاحد هو أم رسول ؛
ولا تدري إذا كان بلغ فى ندمه ما بلغه من كفره .
ولعل هذا الحوارى نفسه لم يدرك كما لم يدرك الرسام
ولم يدرك الناظر إلى الرسم هذا السر الغامض الذى
ترف عليه من الخلفى ابتسامه كأنها الناع الندى
تحت شعاع الرحمة والحنان

وما كنت أفب أمام بريجت إلا مثل وقفة
الحوارى توما ، وقد حكمتى الصمت وتولتني الدهشة
فأرتجف فرقاً خشية أن يكون ما تبدل من حالى
قد دفع بسيرتها إلى الارتباب بى ، ولكن ما صرت
علينا خمسة عشر يوماً حتى نفذت بصيرة بريجت إلى
ما يدور فى خلدى فأيقنت أنها استنبتت بإخلاصها

أشكر الله لأنك لا تزالين تحبينني ، فإذا ما عدت يوماً إلى القرية التي رأيتك تحت أشجارها فتطلعي ملياً إلى ذلك المسكن المقفر ، إنك لو أجدة فيه طيفاً يتوه في أرجائه ، ذلك هو الرجل الذي دخل إليك من باب هذا المسكن فبقى فيه ، لأن الرجل الذي خرج منك منه إنما هو رجل آخر .

وكان جين بريجيت يشع بنور الحب ، وتلقت إلى السماء قائلة : أصبح أنى لك وأنا سنبتعد عن هذا العالم الذي أهرمك في شرح شبابك . إنك ستعرف ما هو الحب فتنجلي أمامي حقيقة نفسك ؛ وإذا وهنت محبتك لي يوماً أياً يستقر بي الترحال فإني لن تتخلص من تيكيت ضميرك لأنى أكون قتت بالمهمة التي قدرت على ؛ فإذا ما تخليت عني أجد في السماء إلهاً أوجه إليه شكركى على ما أولانى من نعمته .

إن هذه الكلمات لم تزل تصدو في جوانب تذكاري فتملأني حزناً وروعة .

وأخيراً قررنا أن نساfer إلى « جنيف » فنختار لنا مسكناً هادئاً على منحدر جبال « الألب » فبدأت بريجيت تذكر البحيرة الجميلة فأحسبني أنشق النسمات التي تعقد زرداً على سطحها حاملة عطاور أزهار الوادى ، فكنا نشاهد بمين الخيال « لوران » و « فيفى » و « أويران » ووراءها قمم الجبل الوردى الذي يغسلها عن سهول « لومباردى » الواسعة . فكأنتنا كنا نسمع في هذه الأماكن هتاف السكينة وهمسات أرواح العزلة تدعوننا إليها لإغراق حياتنا فيها

وعند ما كان يحين المساء وأربت على أنامل

ما خلق الله من الألوان : هنالك زرقة السماء وخضرة السهول وبياض القمم العالية

وصاحت بريجيت : هيا بنا ؛ لننظر كغردين في الأجواء ، ولينغم في ذهننا أننا لم نلتق إلا منذ أمس الدابر في أحد المراقص فأعجبت بك وأعجبت بي . ولسوف تقص على بعد أن نبتعد أميلاً أنك في القرى الصغيرة عشقت امرأة تدعى مدام بيارسون فلا أصدق شيئاً مما ستسرده عنها إذ لا أريد أن تسر إلى بما وقع بينك وبين امرأة هجرتها لتتبعني . ولسوف أقول لك أنا أيضاً إنني منذ أمد غير بعيد أحببت رجلاً ذا أخلاق سيئة حملت الشقاء من صحبته فتسمعي كلمات الاشفاق وتلزمى السكوت ، وهكذا نظوى إلى الأبد تلك الصفحة القديمة

وعند ما كانت بريجيت تتكلم بمثل هذا كنت أشمر بجشع الحريص وارتياحه ، فأضمتها إلى صدرى بساعدين يرتجفان ، وأنا أهتف قائلاً إننى لأعلم ما يوجب ارتعاشى أفرحى أم خوفى ؟ سأحملك إلى بعيد يا بريجيت ، لأنك كنزى الوحيد فتكونين لي تحت هذه الآفاق الوسيعة . هيا إلى الأمام ولتمت ورائى أيام شبابى وتذكاراتى فتضمحل معها آلامنا وأوصابنا

أى خليلتى لقد حوت بصبرك الولد رجلاً فإذا ما تخليت عني الآن يمتنع على أن أحب بعد من يدرى ؟ لعل امرأة غيرك كانت ستتولى معالجتى لو لم تعثرى على . أما الآن فأنت وحدك في العالم المرأة التي ييدها إنقاذى وهلاكى لأننى أحمل على قلبى وسم جميع ما حملتك إياه من عذاب . لقد كنت عاقاً فعميت بصيرتى وقسوت عليك ، وإننى

بريجيت بأناملي كنا نشعر كلانا بشيء من التسامي يقصر البيان عنه ، وما هو إلا عاطفة كل قلب يستمد للرحيل ، فتتنازعه روعة الابتعاد وآمال ما يتوقع مشاهدته في سفره

إن في فكر الانسان أجنحة خافقة وأوتاراً ناطقة تمثل الألوهية فيه ، فإذا ما استعد للرحيل ينتصب فيه عالم جديد كأنه خلق فيه خلقاً

وما عثم حتى ظهرت على بريجيت دلائل الشحوب فأصبحت صامته تحني دائماً رأسها ، وإذا ما سألتها عما بها تجيب في صوت خافت أنها لا تشعر بشيء . ونهبتها يوماً - إلى قرب ميعاد السفر فنهضت متخاذلة لتتمم معدات الرحيل ؛ وأردت أن أشدد عزمها بتأكيدي لها أنها ستاتي السعادة وأني سأكرس لها حياتي فلجأت إلى ذرف الدموع ، وقبلتها فعلاً وجهها الشحوب وأعرضت بعينها عن تاركة شفتيها لشفتي ، وقلت لها إن بوسعها العدول عن الرحيل فقطبت حاجبيها

ودعوته إلى إعلان ماتنصر مكرراً لها أقسامي بأنني سأضحي حياتي لتأمين سعادتها فارتعت على عنقي غير أنها لم تلبث حتى دفعتني عنها وهي لا تني

ودخلت يوماً إلى غرفتها حاملاً ورقة السفر بالمرية التي تنجيه إلى « برانسون » وإذا اقتربت منها واضمأ هذه الورقة على ركبتيها رفعت ساعديها وصرخت ثم سقطت مغنى عليها على قدي

الفصل الثاني

وحاولت عبثاً معرفة ما دعا بريجيت إلى هذا الانقلاب الفجائي ، فكانت تصر على السكوت وهي

عليلة . وأمضيت يوماً كاملاً في التوسل إليها ذاهباً في ظنوني كل مذهب حتى عيل صبري ، فطفرت إلى الشارع تأمها ولا وجهة أفصدها ، حتى إذا وصلت إلى الأوبرا اعترضني شخص عارضاً على تذكرة دخول فأخذتها منه ودخلت المسرح وأنا لا أعي

جلست مشرد الفكر لا يسترعي نظري شيء ، فقد كانت بصيرتي المستغرقة في ذاتها تموء على بصرى فتمحو كل مرأى حولي وقد انصبت على فكرة واحدة كلما زدتها إمعاناً ازدادت غموضاً وإبهاماً

ما هو هذا الحائل الذي انتصب فجأة على سبيل آمالنا فتمثرت به وتبددت ؟ إذا كان هنالك كارثة من فقد ثروة أو موت صدبق ثما يدعم مثل هذا إلى التكم والاصرار على السكوت . إن بريجيت لم تدخر وسعاً لتحقيق أمانينا فما يكون هذا السر الذي يذرو سعادتنا هباء ولا يسعها إعلانه ؟

أصبح أن بريجيت توعد سريرتها دوني ؟ ما الذي يدعوها إلى كتمان أمرها إذا كان لها من حزنها أو ترددتها أو غضبها ما يوجب إرجاء رجليها أو المدول عنه ؟

وما كان قلبي وهو السادر في هواه ليخامرهم ريب في إخلاص بريجيت فإذا لاح لي فكرة تستدعي لومها ردها هذا القلب متمرداً بمد أن رأى من ثباتها وولائها ما رأى . وهكذا وجدتني تأمها في وهاد أظلمت آفاقها وخفيت عني مخارجها

ولاح لي على أحد المقاعد المقابلة شاب لم تغرب سياهه عن تذكاره ، فحدقت فيه وشروذ فكري يحول دون تحديدي لشخصه وقرن هيئته باسمه .

الانسان الأدبار أمام من يسير نحوه . وما كان في المشى أحد سوانا عند ما اتجهت إليه فلا ريب إذن في أنه تهرب من مقابلي

وما خطر لي قط أن هذا الشاب تمعد إهانتى بما فعل لأنه كان يزورنا كل يوم فالفاه بالترحيب فضلاً عن أنه كان بسيطاً متواضعاً وليس في خلقه شيء مما يبرر الظن بسوء قصده فهو إذن أراد التخلص من محادثة رآها مرهقة له . وهكذا قادنى التفكير إلى اضطراب أشد إذ تحققت وجود علاقة لاريب فيها بين تهرب هذا الشاب وإصرار بريجيت على السكوت

ليس في العالم عذاب أشد على الانسان من الارتياب . ولكم تمرضت للمصائب في حياتى لأننى ملت إلى الشكوك فاستبقت الحادثات

وعدت إلى المسكن فرأيت بريجيت مشغولة بقراءة هذه الرسائل المشثومة ؛ فقلت لها إننى علت صبراً فلن أطبق بعد الآن بقاء في هذا المأزق الذى يبلبل أفكارى ، وأعلنت لها إصرارى على معرفة ما أدى بها إلى هذا التبدل قائلاً : إنها إذا استمرت على الصمت أعتبر صمتها كرفض صريح للرحيل مى بل كأمر تصدره إلى بالافتراق عنها إلى الأبد

فما وسع بريجيت تجاه هذه المهاجمة إلا أن تسلمنى - ودلائل الامتناع بادية على حياها -

إحدى تلك الرسائل ، فإذا أقرباؤها يقولون فيها إن رحيلها سيصمها بالعار ، إذ لا يجمل أحد ما دعاها إليه ، وأنهم يجدون من واجبهم تذكيرها بسوء مصيرها لأنها تعيش مى تكليفة ، وأن عليها وإن

وبعد شخص مديد عرفت فجأة أنه الشاب الذى حمل إلى بريجيت الرسائل من مدينة « ن » حيث بقيم أنسابها ، فنهضت مسرعاً دون تردد قاصداً مخاطبته ولكننى رأيت أن لا بد لى من اجتياز عدد وقير من المقاعد للوصول إليه فاضطرت إلى الانتظار ريثما ينزل الستار . وخطر لى أن هذا الشاب دون سواء يمكنه أن يرسل نوراً على ظلمات شكوكى لأنه قبل مدام بيارسون مراراً عديدة منذ أيام ، وكنت أراها بعد كل مقابلة معه حزينه قلقة وكانت قابله في صبيحة يوم اعتلالها . وما أطلعتنى بريجيت على الرسائل التى وردت إليها فقد يكون هذا الشاب إذن عارفاً بالسبب الذى دعا إلى تأخير رحيلنا وإذا كان لا يعرف هذا السبب فهو على الأقل يعلم ما تضمنت الرسائل . وكنت أرى في اطلاع هذا الشاب على أمورنا ما يجزئنى على استجوابه ، لذلك سرنى الالتقاء به ، وما أسدل ستار المسرح حتى سارعت إلى اللحاق به في المشى ؛ ولكنه اندفع دون أن أعلم إذا كان رآنى أم لا ، وتوارى في إحدى الشرفات فوقفت أنتظر خروجه ربع ساعة حتى إذا فتح الباب رأيتة خارجاً فهرعت نحوه رافعاً يدي بالسلام ولكنه بعد أن مشى بضع خطوات متردداً أدار ظهره فجأة وانحدر على أحد السلام واختفى .

وما كانت حركتى لتخفى على هذا الشاب فقد أدرك ولا ريب أننى قصدت مخاطبته ، فهو إذن قد أراد اجتناب هذه المخاطبة ، وما كان له أن ينسى هينتى ، وهب أنه لم يعرفنى فليس من المألوف أن يولى

طاقة لي على السفر وأنا على هذه الحال فلا أنتظر
إلا الشفاء ، أو على الأقل استعادة بعض القوى
لأذهب معك إلى جنيف كما تم اتفاقنا

وافترقنا بعد هذه المحادثة وفي قلبي من برودة
لهجتها من الحزن ما لم أكن لأشعر بمثله لو أنها
أعلنت أنها لن ترحل معي

وما كانت هذه المرة الأولى التي حاول بها الناس
بمثل هذه النصائح أن يفرقوا بيننا . غير أن بريجيت
ما كانت من قبل لتأبه لمثل هذه المحاولات ، لذلك
صعب عليّ التصديق بأن هذه الرسائل وحدها قد
أثرت فيها هذا التأثير في حين أن ما انطوت عليه
من نصائح كانت قد بذات لها من قبل أيام لم نكن
بلغنا السعادة التي توصلنا إليها أخيراً . ووقفت
أحاسب نفسي لأعلم إذا كنت أتيت في باريس أموراً
توجب إدانتى . ثم تساءلت عما إذا كان السبب في
هذا الانقلاب ما يطرأ على النساء من ضعف عند
ما يقررن اقتحام أمر فلا يجسرن على تنفيذه ، أم
إن هنالك ما يدعوه الإباحيون آخر مقاومة للمقائد
الموروثة ، ولكن بريجيت كانت قد أمضت ثمانية
أيام لا تنى خلالها عن التكلم عن أحلامها وعن
حياتها المقبلة بكل صراحة وبكل إخلاص حتى أنها
أصرت على الرحيل بالرغم منى فلا بد إذن من وجود
سر في الأمر ، ولكن أين السبيل إلى النفوذ إليه إذا
كنت لا ألتقي جواباً على ما أوجهه إلى بريجيت من
سؤال إلا على شكل لا يتفق والحقيقة ؟ وما كان
بوسعي أن أكذبها طالباً منها إيراد جوابها
بشكل آخر

كانت حرة في تصرفها كأرملة أن تحافظ على سمعتها
وشرف الاسم الذي تحمله ، فإذا هي تمادت في غيها
فلا عتب لها عليهم وعلى جميع أصدقائها إذا هم قطعوا
كل علاقة بها . وقد اختتم هؤلاء الأقرباء رسالتهم
بإسدادها النصيح للرجوع إلى بلادها

آمنتى لهجة هذه الرسالة فلاح لي لأول وهلة
أنها لا تتضمن إلا إهانات وتقريراً . فقلت لبريجيت
لأريب في أن الشاب الذي حمل إليك هذه الرسائل
قد كُلف أيضاً بترديد ماورد فيها على مسامعك
فهل تنكرين أنه يقوم بهذه المهمة ؟

ورجعت إلى الصواب كاسراً من حدة غضبي
أمام بواذر الحزن التي ظهرت على وجه بريجيت
وهي تقول : لك أن تفعل ما تشاء إلى أن تقضى على
إن حظي من الحياة بين يديك وأنت سيد هذه
الحياة منذ زمان بعيد وبوسعك أن تعد ما يحلو لك
من انتقام تجاه هذه الجهود التي يبذلها أصدقائي
القدماء بدعوتهم لي إلى سواء السبيل وبمحاولتهم
إرجاعي إلى حظيرة المجتمع الذي كنت أحترمه من
قبل والشرف الذي تعرّيت منه . ليس لي ما أقوله
لك ، ولك إذا شئت أن تملّي عليّ جوابي على هذه
الرسائل فأصدع بأمرك

فقلت لها : إنني لا أطلب سوى معرفة ما تقصدين
ومن سيصدع بالأمر إنما هو أنا لا أنت ؛ فقولي لي
أتريد البقاء أم الرحيل لأعلم إذا كان يجب عليّ أن
أرحل وحدي

فأجابت بريجيت : لماذا توجه إلى هذا السؤال ،
وهل قلت لك إنني غيرت رأيي ؟ إنني متألّة ولا

وثقت من أنني سأتمكن من مقابلته فلا يتسنى له هذه المرة أن يهرب من ملاقاتي

وما كنت أعرف عنوان مسكنه ، فدخلت على بريجيت أطلب هذا العنوان قائلاً : إن الواجب يقضي على زيارة من زارنا مرات عديدة ، وما كنت أخبرتها شيئاً عن مصادفتي له في المسرح ، فوجدتها مستقلة على سريرها وعلى أجنافها بلل الدموع ، ومدت يدها إلي قائلة : ماذا تريد مني ؟

وكانت نبرات صوتها تتدفق مرارةً وحناناً وخرجت من غرفتها بعد محادثة قصيرة مشبعة بالولاء ، وقد سقط عن قلبي بعض ما يشغل عليه

وعرفت من بريجيت أن الشاب الذي أقصد زيارته يدعى سميت ، وأنه ساكن على مقربة منا . ولما قرعت بابه ملكني اضطراب شديد ومشيت إليه كأنني أقتحم نوراً شديداً ؛ غير أنني ما وقفت أمامه حتى جمد دمي في عروقي لأنه كان منظر حاك كبير يجبت على فراشه ووجهه شاحب كوجهها ، فشد إلى يده قائلاً ما قالت هي : ماذا تريد مني ؟

إن في الحياة من غرائب التصادف ما يحير العقول ، فعدت ولم أجب فكأنني استفتت من حلم ، وأنا أكرر في سري السؤال الذي وجهه الشاب إليّ لأنني ما كنت لأعرف ما أتيت أفعل لديه . وهب أن هذا الشاب مطلع على أمور تهمني فهل هو مستعد لإعلان ما بكم . لقد حمل الرسائل إلى بريجيت فهو لا شك يعرف مرسلها ، ولكن هل هو يعرف عن مضمونها أكثر مما أطلعتني بريجيت عليه ؟ وصعب

إنها تعان لي استعدادها للرحيل ، غير أن المحجة التي تتخذها لهذا التصريح تدعوني إلى رفض ما تعان قبوله ، إذ ليس لي أن أرضى بمثل هذه التضحية وقد أصبح قبولها في عيني عبارة عن خضوع لأمر واقع أو استسلام لقضاء لا بد منه . وقد كنت أعتقد من قبل أن بريجيت تطاوع هواها لتتبعني فإذا هي في نظري مكروهة على القيام بما عاهدت عليه ووعدت به ، وروغني أن أحمل بين ذراعي هذه المخلوقة الشاحبة لأختطفها من أوطانها وأذهب بها إلى أمد بعيد قد يطول مدي الحياة وما هي بين يدي إلا ضحية مستكينة .

لقد قالت لي إنها ستفعل كل ما يحلو لي ، وما يحلو لي أن أكلف التجلد والصبر ما يزيد في آلام القانتة الصابرة ، وأسهل علي أن أذهب ضارباً في مجاهل الأرض وحدي من أن أتحمّل النظر أسبوعاً واحداً إلى هذا الوجه يقنع بالشحوب سره الدفين ويلى : أبوسى أن أذهب وحدي ناكصاً على أعقابى بعد أن قطعت بخمسة عشر يوماً أجمل مراحل السعادة ؟ أنى لي هذا الإقدام وأنا لا أفكر إلا في الوسيلة التي تمكنني من اختطاف بريجيت والرحيل بها ؟

ومرّ بي الليل الطويل ولم يغمض لي جفن ، حتى إذا لاح الفجر وجدتنى مصمماً على مقابلة الشاب الذي رأيته في المسرح ، وما عرفت أكان ما يدفعني إلى ذلك حاسة غضب ، أم حاسة فضول ؟ وما عرفت أيضاً ما أريد من هذا الشاب ، واسكنني

شكر المجتمع لعدم شعوره بها ولاعضائه عن مواهبها
وكنت سمعت عنه أموراً تكفي لتحديد شخصيته

ومنها أنه كان توله بفتاة عاشرها سنة فرضي أهلها
بتزويجه منها وكاد العقديتم لولا أن أمه قالت له
« وأختك من سيزوجها ؟ » ففهم من هذه الكلمة
أنه إذا تزوج وحوّل جنى عمله إلى عائلته فإن أخته
تبقى بلا مهرٍ وتحرم من الزواج ، فلم يتردد في العدول
عن زواجه مضحياً غرامه هاجراً ببلده ووجهته
باريس حيث وجد الوظيفة التي يشغلها الآن . عند
ما سمعت هذه الأقصوصة في القرية تخنيت أن أتعرف
إلى بطلها إذ رأيت في هذا الاخلاص من العظمة
ما يربو على أبحاد أعظم انتصار في معارك الحياة

وعند ما تفرست في رسم أمه خطرت لي هذه
الحادثة فحولت أنظاري إليه وسألته عن سنه فأدهشني
إعلانه لي أنه من سني ، في حين أن سيامه كانت تدل
على أنه أصغر مني . وعند ما دقت الساعة الثامنة
وقف وأراد أن يخطو إلى الأمام فرأبته بتمابل مضطرباً ،
وإذ سألته عما به قال لي إن ساعة ذهابي إلى الكتب
قد حانت ؛ غير أنه لا يجد في نفسه القوة على السير
إذ أنه يشعر بنار الحمى ويتألم ألماً شديداً ، فقلت
له : لقد كنت في عافية بالأمس عند ما رأيتك في
« الأوبرا » فقال : أعتذر إليك لأنني ما عرفتك .
إنني أذهب إلى الأوبرا مراراً ، وأرجو أن أصادفك
هنالك

وكنت كلما أمنت الفكر في حالة هذا الشاب
وأدرت لحاظي في غرفته أزداد تردداً في تناول
الموضوع الذي كنت أنيت لبحثه إذ لم يبق في

على أن أستنطق مضيفي وأصبحت أحاذر أن يرتاب
فيما يمر بخاطري

وبدأنا الحديث بالجامعات المألوفة فشكرته لقيامه
بالهمة التي كلفه إياها أنسباء مدام بيارسون وقلت له
إننا عند ما نبارح فرنسا سنعهد إليه أيضاً ببعض
المهام . ثم حكمنا الصمت كأن كلا منا لا يدرى سبباً
لوجوده تجاه الآخر

وأدرت لحاظي إلى ماحولي ككل حار فرأيت
في هذه الغرفة وهي في الدور الرابع ما يدل على نزاهة
ساكنها واجتهاده ، إذ لم يكن فيها سوى عدد من
الكتب والآلات الموسيقية ورسوم إطاراتها من
الخشب الأبيض وأوراق منضدة على خوان ومقعد
قديم وبعض الكراسي ، غير أن جميع هذه الأدوات
كانت مرتبة نظيفة يرتاح إليها النظر . ورأيت على
رف الموقد رسم امرأة مسنة وإذ تقدمت لأمعن فيها
قال لي إنها أمه

وتذكرت حينذاك أن بريجيت كانت حدثتني
مراراً عن سميت فعادت إلى تخيلاتي حوادث عديدة
عن حياته لأنها كانت تعرفه منذ طفولته وكانت تراه
أحياناً في قرية أنسبائها ولكنها انقطعت عن زيارة
هذه القرية إلا مرة واحدة منذ تعرفت إليها ، وهكذا
عرفت صدفة ما عرفته عن حياة هذا الشاب الذي
كان يشغل وظيفة صغيرة ليقوم بأود أمه وأخته
منقطعاً عن اللذات من أجلهما ، وبالرغم من براعته
في الموسيقى لم يفتح المجال طلباً للتجاح في هذا الفن
بل اختار حياة السكون مفضلاً لخول الذكر متممياً
بهذا إلى فئة قليل عديدها في الحياة ترى من واجبها

وسألته عن سبب استغرابه فوقف وألقى ساعديه على كتفي وعيناه جاحظتان وهو يرتعش ، فقبضت على يديه مستفسراً عن ألمه ، فكفف دمه براحته وانسحب يتعجب نحو سريره

وحدثت فيه مندهشاً إذ رأيت الحمى تهزه هزاً فترددت في تركه على هذه الحالة ، وإذ تقدمت إليه ردني عنه بعنف ، وما عم أن عاد إليه صوابه فقال لي : أعتذر إليك . وما كانت حالتي لتسمح لي باستقبالك فأرجو أن ترفق بي وتتركني وشأني ؛ ولن يفوتني عند ما أستعيد قواي أن أذهب اليك لأسديك شكري

فليكس فارس

(يتبع)

خاطري ما كان خامره من أن هذا الشاب أمكنه أن يدخل على ذهن بريجيت ما يلحق الضرر بي ، بل رأيت فيه من دلائل الصراحة والجد ما أوقفني موقف الاحترام أمامه ، وما لبثت أن اتخذت أفكارى بحري آخر وأنا أفرس في وجه رفيقي وهو يفرس أيضاً في وجهي

لقد كان كل منا في الواحدة والعشرين من سني حياته ، ولكن الفرق كان كبيراً بيني وبينه فهو الشاب المتعود الحياة المنتظمة المتحرك ضمن دائرة محدودة ، الذي لا يعرف من الدنيا إلا طريقه بين غرفته المنفردة ومكتبه في إحدى الوزارات مرسلأ إلى والدته تتاج الجهود التي لا تعرف قيمتها إلا اليد العاملة ، فلا يشكو من ألمه إلا لأن هذا الألم يجرمه يوم عمل ، ولا ينصب فكره إلا إلى تأمين الراحة لسواه منذ تحركت للمعمل يده . أما أنا فما الذي فعلته بهذا الزمن الثمين الذي مر بي سراعاً ، هذا الزمن الذي يمتص عرق المجاهدين في الحياة ؟ من كان مثلي يعد رجلاً ؟ ومن عرف الحياة أنا أم هذا الشاب ؟

إن ما أوردته هنا صفحة مما مر بيننا في لحظة وأنا أحرق فيه وهو يحرق بي

وحدثني بعد ذلك عن سفرنا وعن البلاد التي كنا ننوي زيارتها ؛ ثم سألتني عن ميعاد هذا السفر فقلت له : إن مدام بيارسون مريضة طريحة الفراش منذ ثلاثة أيام فردد قولي : « ثلاثة أيام » بحركة استغراب لم يقو على ردها

(١) خالتي وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرات طاغور

ترجمته عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمته عبد اللطيف النشار

تمن هذه الكتب الخمسة عشرة قروش بما في ذلك

أجرة البريد وتطلب بالبريد من صاحبها بعنوانه :

١٨ شارع الإيعادية بمحرم بك بالإسكندرية